من أدب العمد

بين ديكي وكلبي

للشيخ حسن عبد العزيز الدالى

ديكي العزيز !

بقروش فوق الستين اشتريتك يا ديكي العزيز ، بعد بحث طويل عنك في الأسواق . وما أكثر الديكة من إخوانك أيها الديك ، ولكن قليلاً منهم ما يشبهك . وأين من الديكة جمال ريشك ، وطول عُرفك ، وثقل وزنك ، وخفة روحك ؟ صفات ما اجتمعت قبلك في ديك . فأنت الذي كنت أبحث عنه في الأسواق بذاته وعينه وخصوصيته ، حتى عثرت بك !

وعنيت بأمرك يا ديكي كل العناية ؛ فأفردت لك جناحاً خاصًّا تسرح فيه وتمرح ، فتنفش ريشك الأخضر الجميل ، وتخفق بجناحك الزاهي الممدود ، وتدلي عرفك الأحمر الطويل ، وتكركر بصوتك الموسيقي الصادح : كُر كُر كُرْ ... ...

بيدي كنت أقدم إليك الطعام في الأطباق الصيني في وجبات منتظمة الميعاد ، شهية المذاق ، مغذية سائغة ، استعداداً ليومك المعهود بعد ثلاثة أسابيع ، يومَ تُزَفُّ في الصحفة الكبيرة ، لتكون عشاء العروسين في ليلة الزفاف . أيّ شرف كنت أُعدّ لك أيها الديك ؟ ولكن ...

ليت شعري ماذا أصابك أيها الديك ... ؟ لقد كنت في زيارتك أمس بعد الغروب ورأيتك وأنت تقفز بخفتك ونشاطك إلى العريش الذي اتخذته لك بيتاً عند ما يجن الظلام ... ويلي منكم يا معشر الديكة ! لا يفارقكم الزهو والخيلاء : ففي النهار كرٌّ وفرٌّ وعُجْبٌ وكبرياء ، وفي الليل لا يرضيك أن يمس جنبيك التراب فتأبى إلا العلاء ... ؟ بَلَى ، رأيتك أمس يا ديكي في خفتك ونشاطك ، وعافيتك وصحتك ، وحوصلتك مملوءة ، وعرفك ريّان ؛ فماذا دهاك في الصباح يا ديك ؟

يا أسفا وقد غدوت عليك لأقدم إليك الفطور بيميني فإذا أنت جثة هامدة ، ملقى على الأرض ، معفر بالتراب ، تحت السرير الذي ارتقيته أمس مزهوًّا أمام عيني !

لقد أحزنني مرآك يا ديك على هذه الحال ، وبجوارك ذلك الكلب الصغير « بيتر » الذي أصفاك الود منذ حللت الدار !

ما بك من جرح أيها الديك يُظن أن صديقك الأمين قد أحدثه بك في ثورة طيش ، وما بك رضٌّ يحتمل أن يكون من جراء سقوطك من مرقدك في غفوة حلم ؛ وهذا مكانك دافئ لا إمكان لأن ينالك فيه برد ... إذن فماذا ... ؟

لا بد من تشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة . ليس في الأمر جريمة على ما أعتقد وأرى ! أهي سكتة قلبية ؟ أهي ذبحة صدرية ؟ أهو تصلب في الشرايين ... ؟ ليتني أعرف يا ديكي العزيز ... !

يا للقدر ! لقد كنا نأمل أن يكون تشريحك بين العروسين في ليلة الزفاف ، فكيف يطاوعني قلبي أن أبدلك منهما مبضع الطبيب البيطري ... !

* * *

هذا صديقك « بيتر » يهز ذيله في حيرة ، وينكت الأرض برجليه في ألم ، ويعوي من قلبه في صوت مبحوح . ماذا يريد يا ترى ؟ أيطمع أن يرشدنا إلى القاتل وليس هناك جريمة ؟ أم يريد أن يقوم هو بعملية التشريح وتمزيق اللحم بعد ما أصبح الديك لا يصلح للعروسين ، أم ... أم هو يبدي الحزن على صديقه الفقيد ويريد أن يحفر له قبره بيده ...؟

من يدري أي سر يعتمل في صدر هذا الحيوان ! لقد تركناه لحاله وما فهمنا قصده ، واتجهنا إلى هذا الفقيد نفكر فيما نصنع به ، وأخيراً شيعناه بنظرة وداع ، وعقدنا العزم على أن نجعله طعاماً لبيتر . ما أشد ظلم الإنسان للحيوان ، حتى على الموت ! لقد قطعنا فخذ الديك فنزعنا ما بها من ريش ، ثم جعلناها وجبة الطعام لبيتر ... ولكن ... يا عجبا ! إن بيتر يأبى أن يأكل من لحم صديقه الذي مات ، على شهوته وجوعه . ها هو ذا يعمد إلى الريش المنزوع فيجمعه بفيه ثم يغطي به هذه الفخذ العارية . لقد قام الكلب بواجبه ، فكفّن صديقه في أثوابه ووارى التراب !

يا للوفاء ! الكلب يأبى أن يأكل لحم صديقه ميتاً وإنه لا يعف عن طعام ، والانسان — ويلي على الانسان ! — والانسان لا يتعفف أن يأكل لحم أخيه .. إن في الكلاب لنُبلاً وشهامة .. !

لله أنت يا بيتر ، وفي ذمة الله يا ديكي !!

حسن عبد العزيز الدالى
عمدة كفر دميرة القديم

١٥ ه ١٠